

## 82613 - توضيح قوله تعالى ( إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان )

### السؤال

ورد في قصة سليمان ومملكة سبأ في سورة النمل الآية التالية : ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )

أنا أفهم أن المعنى : أنها ظلمت نفسها بالكفر ، وأنها أسلمت بعد أن تبين لها الحق ، ولكن لفظ الآية ، وعدم وجود علامة وقف بعد كلمة ( نفسي ) ، توحى بعكس هذا المعنى ، وهو أنها ظلمت نفسها بالإسلام – ومعاذ الله – ، فهل من توضيح ؟.

### الإجابة المفصلة

يقول تعالى في سورة النمل : ( قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) . النمل/44

يحكي سبحانه وتعالى في هذه الآية المفاجأة الكبيرة التي كان أعدها سليمان عليه السلام لمملكة سبأ ، وكانت قصرا من البلور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، فوقفت الملكة مدهوشة أمام هذه العجائب التي يعجز عن مثلها البشر ، فرجعت إلى الله ، وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره ، معلنة إسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

هذا هو فهم سياق القصة ، وهو أيضا ما تقتضيه قواعد اللغة العربية .

فإن قولها ( ظَلَمْتُ نَفْسِي ) جملة فعلية في محل رفع خبر ( إِنِّي )

ثم جاء حرف العطف ( الواو ) ليعطف جملة على جملة ، فقالت ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ )

انظر "إعراب القرآن وبيانه" محيي الدين درويش (7/216) ، "الجدول في إعراب القرآن" لمحمود صافي (9/415)

والتقدير: وإني أسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

وهذا هو التقدير الصحيح ؛ لأن النحاة يقولون : إن حرف العطف إنما جيء به لاختصار التكرار في الجملة .

يقول ابن عقيل في "شرح ألفية ابن مالك" (2/208) :

" العطف على نية تكرار العامل " انتهى .

فبدل أن تقول : جاء زيد وجاء عمرو ، تختصر فتقول : جاء زيد وعمرو .

وكذلك الحال في عطف الجمل التي لها محل من الإعراب :

فبدل أن تقول : إن الله يعلم ما أنتم عليه ، وإن الله سيحاسبكم عليه .

تختصر فتقول : إن الله يعلم ما أنتم عليه وسيحاسبكم عليه .

فالواجب فهم الآية الكريمة على هذه القاعدة ، فيكون تقدير الآية :

( إني ظلمت نفسي ، وإني أسلمت مع سليمان لله رب العالمين )

ولا يلزم لغة - إذا كان العطف بين الجمل - أن تشترك في المعنى ، بل قد يكون المعنى متضادا .

يقول الأستاذ عباس حسن في "النحو الوافي" (3/557) :

" والعطف بالواو إذا كان المعطوف غير مفرد ، قد يفيد مطلق

التشريك ، نحو : نبت الورد ونبت القصب ، أو لا يفيد ، نحو : حضرت الطائرة ولم تحضر السيارة " انتهى .

فحين يعطف الله تعالى قول ملكة سبأ ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) لا يجوز أن تفهم على أنها توضيح للمعطوف عليه أو بيان له ، من حيث أصل اللغة ، فكيف حين يكون بين المعنيين تضاد ظاهر .

والسياق يبين أن الملكة اعترفت بظلمها نفسها حين كانت تعبد الشمس من دون الله ، فتابت من ذلك الشرك ، وأسلمت وجهها ، ووحدت عبادتها لله رب العالمين .

وبهذا يكون المعنى سليما ، وينتفي التوهم الذي يظنه السائل في الآية .

قد يكون لإشكال السائل وجه - من حيث قواعد النحو - إذا كان سياق الكلام :

( إني ظلمت نفسي : أسلمت مع سليمان ) بحذف حرف العطف ، على أن الجملة الثانية بدل من الجملة الأولى ، كقوله تعالى :

( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا : يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ) الفرقان/68-69

فإن مضاعفة العذاب هي بيان وتوضيح للإثم الذي يلقاه مرتكب الكبائر .

كما قد يكون لهذا الإشكال وجه - من حيث قواعد اللغة - لو كان حرف العطف هو الفاء ، فكان الكلام : إني ظلمت نفسي فأسلمت مع سليمان .

فإن الفاء تفيد - كثيرا - مع الترتيب ( التسبب ) ، أي الدلالة على السببية في عطف الجمل ، نحو : رمى الصياد الطائر فقتله . انظر "النحو الوافي" (3/574)

أما وقد جاء السياق القرآني على الوجه البين الجلي :

( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )

فليس لإشكال السائل أي محل من الفهم الصحيح للسياق ، وقواعد  
النحو العربي .  
والله أعلم .